

تفسير الثعالبي

اﻟﻌﺎﻟﻲ ﻭﻭﺻﻰ ﺑﻨﻴﻪ ﻭﺁﺧﺒﺮ ﺑﻌﺪ ﺫﻟﻚ ﺑﺘﻮﻛﻠﻪ ﻓﻬﺬﺍ ﺗﻮﻛﻞ ﻣﻊ ﻣﻦ ﺳﺒﺐ ﻭﻫﻮ ﺗﻮﻛﻞ ﺟﻤﻴﻊ
المؤمنين إلا من شذ في رفض السعي بالكلية وقنع بالماء وبقل البرية فتلك غاية التوكل
وعليها بعض الأنبياء عليهم السلام والشارعون منهم مثبتون سنن التسبب الجائر قال الشيخ
العارف باﻟﻌﺒﺪ اﻟﺒﻦ أﺑﻲ ﺣﻤﺰة Bﻩ ﻭﻗﺪ ﺁﺷﺘﻤﻞ ﺍﻟﻘﺮﺁﻥ ﻋﻠﻰ ﺁﺣﻜﺎﻡ ﻋﺪﻳﺪة ﻓﻤﻨﻬﺎ ﺍﻟﺘﻌﻠﻖ
ﺑﺎﻟﻌﺎﻟﻲ ﻭﺗﺮﻙ ﺍﻟﺄﺳﺒﺎﺏ ﻭﻣﻨﻬﺎ ﻋﻤﻞ ﺍﻟﺄﺳﺒﺎﺏ ﻓﻲ ﺍﻟﻈﺎﻫﺮ ﻭﺧﻠﻮ ﺍﻟﺒﺎﻃﻦ ﻣﻦ ﺍﻟﺘﻌﻠﻖ ﺑﻬﺎ ﻭﻫﻮ
ﺍﺟﻠﻬﺎ ﻭﺍﺯﻛﺎﻫﺎ ﻟﺄﻥ ﺫﻟﻚ ﺟﻤﻊ ﺑﻴﻦ ﺍﻟﺤﻜﻤﺔ ﻭﺣﻘﻴﻘﺔ ﺍﻟﺘﻮﺣﻴﺪ ﻭﺫﻟﻚ ﻻ ﻳﻜﻮﻥ ﺇﻻ ﻟﻼﻓﺬﺍﺫ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻣﻦ
اﻟﻌﺎﻟﻲ ﺑﺎﻟﺘﻮﻓﻴﻖ ﻭﻟﺬﻟﻚ ﻣﺪﺡ اﻟﻌﺎﻟﻲ ﻳﻌﻘﻮﺏ E ﻓﻲ ﻛﺘﺎﺑﻪ ﻓﻘﺎﻝ ﻭﺇﻧﻪ ﻟﺬﻭ ﻋﻠﻢ ﻟﻤﺎ ﻋﻠﻤﻨﺎﻩ
ﻭﻟﻜﻦ ﺁﻛﺜﺮ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻻ ﻳﻌﻠﻤﻮﻥ ﻟﺄﻧﻪ ﻋﻤﻞ ﺍﻟﺄﺳﺒﺎﺏ ﻭﺁﺟﺘﻬﺪ ﻓﻲ ﺗﻮﻓﻴﺘﻬﺎ ﻭﻫﻮ ﻣﻘﺘﻀﻰ ﺍﻟﺤﻜﻤﺔ ﺛﻢ ﺭﺩ
الأمر كله ﺍﻟﻌﺎﻟﻲ ﻭﺍﺳﺘﺴﻠﻢ ﺇﻟﻴﻪ ﻭﻫﻮ ﺣﻘﻴﻘﺔ ﺍﻟﺘﻮﺣﻴﺪ ﻓﻘﺎﻝ ﻭﻣﺎ ﺁﻏﻨﻰ ﻋﻨﻜﻢ ﻣﻦ اﻟﻌﺎﻟﻲ ﻣﻦ ﺷﻴﺌﻰ ﺃﻥ
الحكم إلا ﺍﻟﺄﻳﺔ ﻓﺄﻧﺜﻰ اﻟﻌﺎﻟﻲ ﻋﻠﻴﻪ ﻣﻦ ﺁﺟﻞ ﺟﻤﻌﻪ ﺑﻴﻦ ﻫﺎﺗﻴﻦ ﺍﻟﺤﺎﻟﺘﻴﻦ ﺍﻟﻌﻈﻴﻤﺘﻴﻦ .
ﻭﻗﻮﻟﻪ ﻻ ﺗﺪﺧﻠﻮﺍ ﻣﻦ ﺑﺎﺏ ﻭﺍﺣﺪ ﻗﻴﻞ ﺧﺸﻲ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﻌﻴﻦ ﻟﻜﻮﻧﻬﻢ ﺁﺣﺪ ﻋﺸﺮ ﻟﺮﺟﻞ ﻭﺍﺣﺪ ﻭﻛﺎﻧﻮﺍ ﺁﻫﻞ
ﺟﻤﺎﻝ ﻭﺑﺴﻄﺔ ﻗﺎﻟﻪ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻭﻏﻴﺮﻩ .
ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﻭﻟﻤﺎ ﺩﺧﻠﻮﺍ ﻣﻦ ﺣﻴﺚ ﺁﻣﺮﻫﻢ ﺁﺑﻮﻫﻢ ﺭﻭﻯ ﺃﻧﻪ ﻟﻤﺎ ﻭﺩﻋﻮﺍ ﺁﺑﺎﻫﻢ ﻗﺎﻝ ﻟﻬﻢ ﺑﻠﻐﻮﺍ
ملك مصر سلامي وقلوا له أن أبانا يصلي عليك ويدعو لك ويشكر صنيعك معنا وفي كتاب أبي
منصور المهراني أنه خاطبه بكتاب قرئى على يوسف فبكى .
ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﻳﻐﻨﻰ ﻋﻨﻬﻢ ﻣﻦ اﻟﻌﺎﻟﻲ ﻣﻦ ﺷﻴﺌﻰ ﺇﻻ ﺣﺎﺟﺔ ﻓﻲ ﻧﻔﺲ ﻳﻌﻘﻮﺏ ﻗﻀﺎﻫﺎ ﺑﻤﺘﺎﺑﻪ
ﻗﻮﻟﻬﻢ ﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﻓﻲ ﺫﻟﻚ ﺩﻓﻊ ﻗﺪﺭ اﻟﻌﺎﻟﻲ ﺑﻞ ﻛﺎﻥ ﺁﺭﺑﺎ ﻟﻴﻌﻘﻮﺏ ﻗﻀﺎﻩ ﻓﺎﻻﺳﺘﺜﻨﺎﺀ ﻟﻴﺲ ﻣﻦ ﺍﻟﺄﻭﻝ
ﻭﺍﻟﺤﺎﺟﺔ ﻫﻲ ﺍﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﻃﻴﺐ ﺍﻟﻨﻔﺲ ﺑﺪﺧﻮﻟﻬﻢ ﻣﻦ ﺁﺑﻮﺍﺏ ﻣﺘﻔﺮﻗﺔ ﺧﻮﻑ ﺍﻟﻌﻴﻦ ﻭﻧﻈﻴﺮ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻔﻌﻞ ﺃﻥ
النبي صلى ﺍﻟﻌﺎﻟﻲ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﺳﺪ ﻛﻮﺓ